الاميركية. لهذا جاز لبيروت بكل استحقاق أن نقول فيها ما قلته أنا ذات يوم: «أيها المجد اركع».

حرب المفاوضات نصر يضاف الى مجد الصمود

المعركة الفلسطينية ــ الاسرائيلية على جبهة المفاوضات كانت بالاساس معركة أعصاب وحرب ارادات. لقد عرضوا علينا الخروج بداية تحت رعاية الصليب الاحمر، رافعين الرايات البيض. ثم قالوا لنا: أخرجوا لكن بدون اسلحتكم. ثم اقترحوا علينا الخروج بكفالة أميركية وعلى سفن أميركية. تلك هي حرب الارادات التي انتصرت فيها الارادة الفلسطينية عندما تمكنت من فرض شروطها على العدو المتغطرس. أريد هنا أن أشير وبدون تسميات الى أحد «العناتر» قائد فلسطيني «يعنتر» علينا هذه الأيام من ليبيا، قال لي أثناء الحصار، وأمام القيادة الفلسطينية: «ماذا تنتظر يا أبا عمار، دعنا نخرج مع الصليب الأحمر فهذا ليس عيبا. هو قال ذلك وأما أنا فقد رفضت. وأكثر من الرفض، فرضت شروطي على الطرف الآخر؛ لعشرة أيام متواصلة، ناقشت حول كيف يكون موكب خروجي من بيروت. اثر ذلك أرسل لي بيغن رسالته الشهيرة التي سألني فيها عما، اذا كنت أنا أحاصر تل ابيب أم هو الذي يحاصر بيروت؟ يومها قلت له: «بحصاري في بيروت حاصرت تل أبيب وكل العواصم». عشرة أيام ناقشت فيها كل تفاصيل الخروج بما في ذلك المراسيم حسب الأصول البروتوكولية الدولية؛ كيف يؤدي لي حرس الشرف، من غير قواتي، التحية العسكرية، ومرافقة بعثة عسكرية يونانية بقيادة جنرال لموكبي. فضلا عن ارسال مبعوث رسمي يوناني وأربع سفن مواكبة للباخرة التي ستقلني الى اليونان، والتي رفع عليها علم فلسطين. كل هذه المراسيم بتفاصيلها نوقشت لا لشخص ياسر عرفات وانما لرمز مدينة قاتلت وصمدت فاستحقت فرض شروطها. فالامر لا يتعلق بي شخصيا وانما بكرامة الاجيال من أبناء شعبي. وأما الجماهير اللبنانية، فمن المرات القليلة التي بكيت فيها طوال حياتي، تلك المرة التي ودعت فيها بيروت وجماهير بيروت التي لم ار كحنانها حناناً.

كلما كانت المفاوضات تتعسر، كان فيليب حبيب يتصنع «الزعل» ويرسل لنا الطيران الحربي والبوارج لتفاوضنا بالنار والدمار. وكنا نعرف أن كل يوم مفاوضات اضافي سوف يعني المزيد من القتل والتدمير وسفك الدماء. لذا أذكر في آخر وصلة مفاوضات، كنت فيها والشهيد سعد صايل، جاء لنا جنرال لبناني يحمل رسالة من سركيس. قلت للجنرال: «بلغ الرئيس سركيس التالي: لقد مر الفرنجة على هذه المنطقة وغادروها واخذوا معهم جماعتهم، وجاء التتار اليها ثم غادروها وانتصرت هذه المنطقة على التتار. وكذلك سيغادر الصهاينة هذه المنطقة وسيأخذون معهم كلابهم. ثم، يا جنرال، قد تكون أطلعت على مسار الحرب ضدنا من شاشة العرض في بعبدا، لكني أود هنا أن أسألك، هل هنالك فاتورة لم ندفعها. لقد دفعنا الفاتورة الاسرائيلية كاملة، ودفعنا الفاتورة الاميركية كاملة أيضا، وكذلك الفاتورة اللبنانية، وبعض الفواتير العربية. فهل هنالك من فواتير لم ندفعها بعد؟ وتوجهت لأبي الوليد قائلا: اذا كانت لديك يا أبا الوليد فواتير بعد فوقع عليها بما في ذلك تلك الفواتير السخيفة التي ادعاها بشير الجميل [فواتير الكهرباء]».